تقِفُ على رأسه بُومة

تقف على رأسه بومة

طارق جابر

غلاف/ فرانكشتاين

مدقق لغوي أ. محمد فهمي

أ. إمتنان محمد

رقم إيداع ٢١٩٩/ ٢٠١٥ط١

الترقيم الدولى / ٩- ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

tel :01022661632 - 012242723 email:

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithbook.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إليكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

تقف على رأسِه بومة

ق.ق

طارق جابر

إهداء

أيتها الروح

التي أبحث عنها بين أحرفي

أستنشق عطر أنفاسك، ويرنو صوتك السبرانو

تدنين فراشة بهالة نور

يغمرني طيفك، يسري بجسدي، أهيم بهارمونية نورك

أسبح في ميلودية نبضك، تنبض أناملي

وتعود الروح لأصابعي؛ فأبدأ سيمفونيتي الأبدية.

مفتتح

الحياة رحلة كلٌّ منا راحلها، وقطارها الذي يقلنا يسير كيفما يشاء ويتوقف أينما شاء، وفي كل توقف نقابل أشخاص نسعد بهم، وآخرون نتألم منهم، أناس ينيروا لنا شموعًا نهتدي بها، وآخرون يطفئوا بسمة قلوبنا، نتقدم ونستمر ونتعثر ونسقط، منا من يستسلم، ومنا من يقاوم ويزداد قوة، ونظل ندور محطة تلو الأخرى، حتى تنتهي رحلة كلٍ منا في الوقت الذي يختاره القدر..

طارق جابر

القلب الأبيض الشفاف

أحسَّ بألم في قلبه، في المستشفى، طلب منه الطبيب عينة من دمه، لم يصدق الطبيب عينيه عندما رأى الدم الخارج من وريده أبيض شفاف.

تجمع كل أطباء المستشفى، تهامسوا، تشاوروا، فقال كبيرهم: لن يخرج من هنا قبل إجراء الجراحة، أو إعطائه حقنة الموت البطيء.

خاف وفزع فانتفض وجرى بأقصى سرعته، فجرى وراءه كل من بالمستشفى، أطباء وممرضين، ومرضى، وزوار، أمسكوه، قيدوه، تقدم كبيرهم، يمسك مشرطًا، مزق ملابسه، شق صدره، فتحه بكلتا يديه، أدخل يده داخل صدره، وأخرج قلبًا شفافًا ينبض في كفه، ناوله أحد المساعدين علبة " اسبراي "، رجها ورش القلب باللون الأسود، وألقاه داخل صدره، وأغلقه بشريط لاصق، لحظات و قام المريض، وضع يده على صدره متحسسا اللحام، ابتسم.. وسار معهم.

أحلام مهرج

دس يده في الحقيبة، أخرج خاتمًا، وضعه في إصبعه، قبله، نفخه، فركه عدة مرات، انتظر ظهور العفريت، فلم يظهر!!.. نادى عليه مرارًا، ولا مجيب، خلع الخاتم وقذفه بعيدًا؛ فابتسم الأطفال.

دس يده في الحقيبة، أخرج مصباحًا، مسح جانبيه بشدة، لم يخرج دخان ولم يظهر مارد، أطاح بالمصباح لأعلى؛ سقط على رأسه، تأوه؛ فضحك الأطفال.

دس يده في الحقيبة، أخرج قمقمًا، نزع السدادة، لم تخرج سحابة تتحول إلى جني، ألقى القمقم، وقع على إحدى قدميه فصرخ وقفز بالأخرى؛ فقهقه الأطفال.

دس يده في الحقيبة، أخرج قصائده العاطفية، اتجه لحبيبته، ووضعها بين يديها وابتسم؛ فصفق الأطفال.

دســت يدهــا في الحقيبــة، أخرجــت علبــة مــن القطيفــة الورديــة، وضعتهــا في يــده، ورحلــت..

فتــح العلبــة، وجــد بهــا دبلتــه، وقلبــه الكريســتال، ووردة حمــراء ذابلــة، حضنهــم وبــكى؛ فبــكى الأطفــال..

شهيق وزفير

استنشـقته مـع دخـان سـيجارتها، دخـل صدرهـا، غمرتـه الدهشـة !! وجـد كهفـا فسـيحا ملأتـه خيـوط العنكبـوت.

نـار المشـاعل التـي عـلى جدرانـه حمـراء داكنـة، نظـر حولـه فوجـد قطـةً، وطائـرًا، وبيانـو، ونوتـة موسـيقية ممزقـة، ودفـة قـارب، ومجدافًـا مكسـورًا، وزاويـة بـرواز، وبقايـا فسـتان زفـاف ممـزق، سـمع بـكاءً، وأنينًـا، وصـدى اسـتغاثة تناديـه، اتجـه إليهـا تعـثر في بقايـا عظـام آدميـة.

تراجـع، سـمع دبيـب خطـوات قادمـة يهـز جـدران الكهـف، سـمع زئـيرًا، ظهـر وحـش، فـر الطائـر، جـرت القطـة، جـرى خلفهـما، طـارده الوحـش، لحقـه، قفـز عليـه، فزفرتـه مـع الدخـان الهـارب مـن فمهـا..

الصعود لأسفل

دعته، فصعد إليها يلبي رغبة البدن، فلما ارتوى، ونامت الرغبة وهمد البدن، غلفته الأقذار وغطاه الدنس، شهق قلبه، وارتعش، بدأ الألم، عض أصابع الندم، بكى وانتحب، قيد نصفه الشيطان، لملم نصفه الملاك، وخرج صباحًا عازمًا ألا يعود..

في اليوم التالي: الوحش الذي بداخله فك القيود، جرفته رغبة في الصعود، مر أمام بيتها، نظر لأعلى، لمحها، فدخل البوابة، وبدأ الصعود.

في الطابق الأول: وخزه ضميره، ذكره بعهده ألا يعود، وألا يتخطى الحدود؛ فاستدار وبدأ الهبوط.

عند البوابة: هاجمه نصفه الشيطان، ذكَّره بأسر الوحدة والقضبان والحرمان؛ فتوقف وأشعل سيجارة وعاود الصعود.

في الطابـق الثـاني: أتـاه نصفـه المـلاك، دعـاه للتوقـف والرجـوع، ذكـره بالنحيــب والدمــوع، وشــهقة قلبــه، وألمــه وندمــه؛ فدهــس الســيجارة، وعـاود النـزول.

عنــد البوابــة: اخترقــت خيالــه، تجســدت أمامــه، داعبتــه، فتنتــه، جرفتــه، فتبعهــا وعــاود الصعــود.

في الطابـق الثالـث: غـاب ضمـيره، نـسي دموعـه ونحيبـه، لم يَـرَ المـلاك، أمسـك يدهـا، وتابـع الصعـود، و خـرج صباحًـا عازمًـا أن يعـود.

ساحرة من نار

عندما عشقها، لم يبال بنارها، ولا رماد ضحاياها الذي تناثر حولها، جذبته، فاتجه إليها، اخترق لفيحها، قبلها، حضنها، فاندلعت النار في أطراف أصابعه، انتشرت بكل جسده، احترقت روحه، وامتزجت بسحب الدخان المتصاعد من طيات ملابسه، تجمع الدخان، تكثف، تبخر، أصبح قطرات من ماء، انساب عليها، رشفته، روى ظمأها، همدت نارها، فتحت عينيها وجدته تحول إلى رماد، نفضته، وراحت تبحث عن آخر.

القلادة

دخـل غرفـة النـوم، أمسـك أجمـل لوحـة رسـمها لهـا، تأمـل ملامحهـا، وميـض عينيهـا، ابتسـامتها، قـلادة أمـه التـي تزيـن صدرهـا، أسـدل أطـراف أصابعـه يتحسـس شـعرها، جبينهـا، شـفتيها، رقبتهـا، صدرهـا، أمسـك القـلادة ونزعهـا، اسـتل فرشـاة الرسـم مـن طيـات ملابسـه، طعنهـا، صرخـت، نزفـت، غرقـت في بقعـة مـن اللـون الأحمـر الداكـن.

أنا وعقله وهو

هـذا الجسـد المتأنـق يقطنـه رجـل عابـس متجهـم لايلـين، يقبـع داخـل رأسـه عقـل ازدحـم بذكريـات مؤلمـة؛ فسـيطر عليـه، وفـرض سـياج عـلى مشـاعره، ويعيشـا معـا في عزلـة موحشـة، وأنـا أعيـش داخـل صـدره المظلـم الـذي أصبـح كهفًـا خانقًـا، متوحـدًا مـع الظلمـة، ومـا عـدت قـادرًا عـلى الوحـدة مثلهـم؛ بـل أشـتاق للحـب والحنـين.

لكـن الرجـل يراقـب نبضـاتي واختلاجـاتي، يشـعر بشـغفي وإعجـابي بتلـك السـاحرة التـي تهفـو بخيـالي؛ فأشـتم عطرهـا الـذي يعطـر صـدره، يغمـرني طيفهـا فتـزداد دفقـاتي وتعـزف لحنًـا روحانيًـا، فتطـرب لـه نفسـه فينتفـض عقلـه سريعًـا يحـذره، يحرضـه ضـدي، يذكـره بجرحـه وألمـه. فيهـب الرجـل يعنفنـي، يسـبني، فأنـزوي بأحـد أركان صـدره منكسًـا خاضعًـا أعيـش وحدتـه مرغـمًا.. كـم رجوتـه أن يحـررني، كـم بكيـت وانتحبـت ومرضـت وتملكنـي الخـوف مـن ظلـمات صـدره وارتعشـت مـن عواصـف مشـاعره.. ولا فائـدة !!

مللت منه ومن جموده وقسوته، فقررت إعلان التمرد والعصيان، صرخت فيه، وواجهته بضعفه وخوفه، وعقدته، فانتفض الرجل هائجًا، قيدني، كممني، سبني، ووقف أمام المرآة يتباهى بقوته، رأى نفسه عملاقًا، ملكه التكبر والغرور، ارتدى بدلته، أخرج سيجارًا ووضعه في فمه، انتفخ وخرج يتباهى بسطوته، في الطريق ظهرت الساحرة براقة كالنجوم، تهادت إليه تشع سحرًا، استنشق عطرها، توتر، عض السيجار، أشعل ثقاب، قبضت كفها قذفته بومضة من طيفها، فتحول العملاق إلى ورق ،مازال الثقاب مشتعلًا، فنشبت النار في أطراف أصابعه، امتدت لكل جسده، احترق، نظر لعينيها وابتسم.

نبض ماكينة

ما عدت أنتفض من نومى مفزوعة عندما توقظني هذه الصرخة، وما عدت أسأل نفسى هل هذه الصرخة حلم أم حقيقة ؟ لأننى علمت أنها حقيقة، وأنها صرخة ملاك، وهذا الملاك هو أمي، أهرول إليها وأنا أعلم ما بها، لقد اخترقت إبرة ماكينة الخياطة أحد أظافرها وانغرست بطرف أصبعها، وكالعادة حفظت ما سأفعله، هى تثبت أصبعها المصاب بيدها الأخرى وتضغطه لأسفل، وأنا أدير قرص الماكينة للخلف فترتفع الأبرة وتخرج من إصبعها، فتتناثر الدماء، أحضر شاش وقطن ومطهر، أضمد جرحها، أمسح دموعها، أقبلها، تضمنى بصدرها، أسمع دقات قلبها الضعيف يلهث يجاهد فى ضخ دفقاته التى ستتوقف قريبًا، بعد أن أخبرها الطبيب بحالته، ولذا سارعت بشراء ماكينة خياطة حديثة تعمل بموتور بدلًا من الماكينة القديمة التى ورثتها عن أمها، وانكفأت عليها منذ رحيل أبى الذى بالكاد أتذكر ملامحه، الماكينة الحديثة تدور بسرعة مذهلة وبنفس سرعتها تدورالأيام المتبقية من عمرها، فراحت تعد الدقائق والساعات، وتحسب كم ستنجز من أثواب، وكم ستترك من مال يعيننى على المجهول.

قبلتنى أمى وتحسست ضفائرى، خلعت السلسلة التى برقبتها، وضعت بها دبلتها ودبلة أبى ووضعتها برقبتى، ثم قامت أعدت

لى طعامًا وكوبًا من الكاكاو الدافئ، ثم اتجهت للماكينة القديمة، جلست على كرسيها، وضعت قدميها على دواستها، وتحسستها قائلة: كم أحببتك يارفيقة عمرى، لم تخذلينى أو تجرحيني يومًا.

كم أحتفلنا بكل ثوب جميل أنجزناه معًا ،كم سعدنا وتبادلنا التهانى بفساتين الأطفال فى الأعياد، وتواسينا وبكينا مع كل ثوب حداد حكناه معًا، وكم غفوت عليك مستريحة البال راضية مطمئنة، فلا تحزنى أنا لم أتخل عنك، لكن قلبى الضعيف يضمر ويحتضر وماعادت قدماى الضعيفتان قادرتان على أن تضخ فيك الروح، وآن الأوان لنستريح معًا، ربتت عليها، واتجهت إلى الماكينة الحديثة، مسحت قطرات الدم التى تناثرت عليها، وجلست تكمل الثوب الذى كانت تحيكه ،وبعدما أكلت وشربت الكاكاو، نمت بجوارها، وفجرًا استيقظت على صمت الماكينة.

الضربة القاضية

ببضعة آلاف من الدينارات، وعدة جرامات من الذهب، أجبروها على الزواج، انتهت مراسم الزفاف.. رحل المدعوون.. جذبها وصعدا إلى الطابق العلوي. نزع طرحتها؛ فانقبض قلبها، قبلها فتسارعت دقاته. حضنها؛ فانتفض قلبها وتسلل من بين ضلوعها، لكمه؛ فطرحه أرضًا.

آخر أيام الطفولة

عـثرت فجـاة عـلى أنوثتهـا تفجـرت، فتبعـثرت، وتعطـرت، وراحـت تبحـث عـن فارسـها، تسـلل إليهـا ودخـل عقلهـا، نسـج حريـره العنكبـوتي نشـوة داخـل حلمهـا، فرأتـه مـلاكًا لمـا انحنـى لجمالهـا، وقبـل يديهـا، وجبينهـا، تخـدرت، تعـثرت ،هـوت في قـاع حضنـه فتصـدع جسـدها، في الصبـاح البكـر، ووسـط البقعـة الحمـراء، وجـدت جسـدها العـارى لزجًـا ينـزف داخـل ثـوب ممـزق مـن خيـوط العنكبـوت.

الخلاص

هـي تكرهـه، وهـو يعشـقها وتجـري بدمـه. لحظـة الخـلاص تناولـت مـا في الزجاجـة. وعندمـا بـدأ السـم يجـري بدمهـا؛ كان هـو يتلـوى مـن الألم.

علقم

كل مـرة ألملـم جسـدي ونفـسي وإحسـاسي المزيـف وحفنـة النقـود الملقـاة بجـوار الفـراش، أدخـل الحـمام؛ أتقيـأ مشـاعري، أرتـدي ملابـسي، أرتشـف بقايـا كأسي، أشـعل سـيجارتي، أخـرج، أتـوه في الزحـام.

ثقب

بهرتــه، ســحرته، راح يــدور حولهــا في مــدارات بيضاويــة، لم يعبــأ بغموضهـا، أسرارهـا، ضحاياهـا، اقـترب منهـا، فـزادت سرعتـه، انحـرف عـن مـداره، دخـل مدارهـا، جذبتـه دوامـة مغناطيسـية، ألقتـه داخـل صدرهـا، بلعـه الثقـب الأسـود الـذي في قلبهـا..

براءة

قلت لها صارخًا: لاتدَّعي البراءة، أنت ككل النساء؛ براءتك المزيفة تخفي حقيقتك، ساكشفك وأحطمك كعشرات قبلك، أمسكت حجرًا، قذفتها فتهشمت، وبين بقاياها المتناثرة وجدت قلبها مازال ينبض، أمسكته وشطرته، فوجدتني داخله نصفين أنزف.

صقيع

اصطكـت أسـنانه..انكمش.. تجمـد مـن عنـف الصقيـع الـذي في حضنهـا.

المجذوب

سحرته.. جذبته.. حضنته.. ابيض شعره.. حُضنها مسكون.

إبحار

القـارب صغـير، والدفـة هزيلـة، والمجـداف قصـير، والريـح عاصفـة، وعندمـا أبحـر، لم يكـن يعلـم أن الرحلـة عـبر شريانهـا للوصـول إلى قلبهـا ألـف ميـل.

هجرة قلب متمرد

باعتـه مـرارًا، ومـا زال يحبهـا.. لامـه قلبـه، أنبـه، عنفـه، ولا فائـدة.. فتمـرد عليـه ولملـم أوردتـه وشرايينـه، حملهـا.. وهاجـر داخـل صـدره تـاركًا جهـة الشـمال، وسـكن جهـة اليمـين..

شتات

في الليـل يصارعنـي قلبـي، أعنفـه، أحـذره، أكـوي جرحـه، يـصرخ ويتركنـي ويرحـل، أتبعـه، يدخـل ملهـى، يثمـل، يرقـص، يتشـاجر، يخـرج صباحًـا يتأبـط إحـدى فتيـات الملهـى، اقلهـما، نرجـع إلى البيـت، نسـقط في الفـراش، أسـتيقظ في الليـل يصارعنـي قلبـي.

معادلة صعبة

عندما تأهبت للخروج من رحم أمي، حسبت الوقت اللازم لتحقيق أحلامي؛ وجدته للأبد.

مصيدة

عندما ولدت وقعت في الفخ.

يتيم

خرجت من الحضانة يكسوني الشيب.

وعود وقيود

أبي الحبيب لا تطلق وعودًا لا تستطيع تنفيذها ؛ من قبل وعدتني بساندوتش من "ماكدونالدز".

حواديت

كنـا صغـارًا، وكانـوا يخافـون مـن الغـول، وأنـا كـبرت ومـا زلـت أخـاف مـن الجـوع.

مسيرة

بعدما جبت شوارع مدينتي بحثًا عن عمل، توفي حذائي بالشيخوخة.

فاتورة

عالجـوه، لم يسـتطع سـداد الفاتـورة، سـحبوا دمـه كلـه مـن جسـده، رهنـوه لديهـم ،و تركـوه يرحـل بجسـده الشـفاف لحـين عودتـه لسـداد الفاتـورة.

لص

تسـلل إلى معمـل المستشـفى ليـلًا، فتـح الثلاجـة، وشرب كل أكيـاس الـدم.

عـاد إلى العنـبر.. لملـم حقيبتـه وهـرب، تـاركآ للرجـل الـذي ينـام بجـواره كيـس دم أسـفل المخـدة.

عصير فرش

جـاءت سـيارة المشروبـات والعصائـر فارغـة، وقفـت أمـام البوابـة الخلفيـة للمستشـفى، نـزل عـمال المستشـفى وشـحنوا السـيارة بعـشرات الصناديـق الممتلئـة بعبـوات « الكانـز» مكتـوب عليهـا A , B , AB , O بالمـوز، والفراولـة، والأنانـاس، والتفـاح.

إنقاذ سريع

جـاءت سـيارة الإسـعاف، نـزل أربعـة رجـال نقلـوا جريحًـا وقتيـلًا، وانطلقـوا بسرعـة، فـور الوصـول، تجمـع كل أطبـاء الانقـاذ السريـع، وأخـذوا الجريـح، سـلموه للبـودي جـارد الواقـف معهـم، وطـاروا بالقتيـل عـلى الترولـلي لقسـم اسـتخراج الأعضـاء الطازجـة.

زيـــارة

دخلـت عليهـم الممرضـة متجهمـة قائلـة: جاءكـم زائـر، وخرجـت تجـري بأقـصى سرعتهـا، لم يكـن ميعـاد زيـارة، نظـروا لبعضهم مندهشـين!! واسـتطلعوا القـادم، سـمع وحـده خطـوات منتظمـة قادمـة تـرج الأرض رأى الزائـر يدخـل والبـاب مغلـق، تمتـم، مـد جسـده عـلى الفـراش، سـحب الغطـاء، غطـى رأسـه، أغمـض عينيـه، خـرج الزائـر، فقـال أحدهـم للآخريـن لمـاذا لم يدخـل الزائـر حتـى الآن.

باقة ورد

لـم حقيبتـه وغـادر المستشـفى، وعـاد للبيـت، فوجـد صِـوانًا أمـام المـنزل، ورجـلا يحمـل باقـة ورد كبـيرة داخلهـا صورتـه يقطعهـا شريـط أسـود..

طاحونة

نـزع ضمـيره، ألقـاه بـين حجـري الرحـى، وبـدأ الصعـود، وعندمـا وصـل إلى القمـة، كان ضمـيره قـد تحـول إلى طحـين.

منشور

اخترقت ألوان الطيف قلبه، تحولت للون الأسود.

اهتمال

ثرواته تنمو وتكبر، وضميره يضمر ويضمحل.

من أين لك هذا ؟

خـرج مـن مكتبـه، أحاطـه حرسـه الخـاص، اندفـع الصحفيـون والكاميرات أحاطـت بـه وبحراسـه، نظـر إليهـم متأففًـا، عـم الصمـت، الـكل منتظـر رد السـؤال الوحيـد الـذي اتفقـوا عـلى توجيهـه إليـه، تجهـم، وضـع السـيجار المشـتعل بـين أسـنانه،هز رأسـه وابتسـم وقـال : لـن أجيب هنـا لكـن لـدي مفاجـأة سـأفجرها بنفـسي بعـد سـاعة في المحكمـة، ركـب سـيارته السـوداء الفارهـة، وانطلـق بسرعـة، تزاحـم الصحفيـون يسـبقونه، وقبـل أن يصلـوا قاعـة المحكمـة؛ كانـت مضيفـة الطائـرة تسـأله عـن مشروبـه المفضـل.

سباق

مندفعًا، أتى من بعيد يجري بأقصى سرعته، ناظرًا للسماء، أصابع قدميه تخرج من حذائه المهلهل؛ اصطدم بعامود الإنارة، تجمع الناس وهو مغشي عليه، فتح عينيه، رأى الطائرة مازالت تحلق، أطاح بكوب الماء من على شفتيه، وانطلق صائحًا بيب.. بيب.. بيب.

العودة

في غرفة الإنعاش كان يرقد في غيبوبة، فتح عينيه، وجد الأطباء والحكيمات والستائر والملاءات وأكياس القطن والشاش والأضواء باللون الأبيض.. وأصدقاءه وأسرته وزوجته يتشحون السواد.

مزلقان

وهـو يعـبر المزلقـان، لم يسـمع صـوت النفـير، كان ضجيـج الأشـباح داخـل رأسـه عاليًـا، صراخ، قهقهـات، أنـين، مـر القطـار، فخيـم السـكون، ووجـد روحـه عالقـة بمؤخـرة القطـار تلـوح لـه.

أصابع

وصلـت إلى منتصـف التشـهد، حركـت سـبابتي أتلـو الشـهادة، تحركت سـبابته تضغـط الزنـاد.

ازدحام

عندمـا اخترقـت الرصاصـة قلبـه، وجدتـه بغرفـة واحـدة تعـج بـكل أسرتـه.

وعد

لأني وعـدت أمـي بالعـودة، تركـت الميـدان ورجعـت إلى البيـت، عندمـا وصلـت وجدتهـم يسـتدعون أبي وأمـي، رافقتهـما حتى المستشـفى، وعندمـا أزاحـوا المـلاءة مـن عـلى وجهـه، وجدتنـي !!!!

بين فكي القضبان

عندما كنت أقود القطار بأقصى سرعته لمحته بعيدًا، يقف بين القضبان في مفترق الطرق، نظرت بمنظاري تجاهه، وجدته يقف مكتوف الأيدي، حاني الرأس، تحوطه الكلاب، تقف على رأسه بومة وعلى كتفيه غرابان، أطلقت النفير لم يتحرك أو ينظر تجاه القطار.

أعمدة الإنارة على جانبي الطريق بلا مصابيح، يتدلى مكانها أنشوطة وسلاسل حديدية وأسواط، اقترب القطار، تعالى صوت نباح ونعيق وصدى أنين وصراخ، أطلقت النفير عدة مرات، لوحت له من النافذة بإشارات هستيرية، لا فائدة، وحين وصل القطار هربت الكلاب، وطارت البومة والغرابان، وعند لحظة التصادم، رفع رأسه المتغطرس، نظر إليَّ، نظرت إليه، تأملت ملامحه.. فوجدته أنا.

تقوقع

فتـح بـاب شـقته، لم يلـق السـلام، أو ينظـر إليهـم، ولم يلتفتـوا إليـه، اتجـه إلى غرفتـه، سـحب حقيبـة السـفر، وضعهـا عـلى فراشـه، فك شـفرتها السريـة، بدلهـا بشـفرة عشـوائية، نـام داخلهـا وأغلقهـا.

محاكمة علنية

لم يتحمل هراوات النقد الجارح، مزق شرايين قلمه، تناثرت الدماء على أروقة أوراقه.

للفنان سيلفيا بيليسيرو

خدعة

لمحتـه صدفـة، وأنـا مـار أمـام المـرآة، فغطيـت وجهـي بالمنشـفة كي لا يـراني، وتواريـت سريعًـا، أحـضرت سـلاحي، و دُرت حولـه، تسـللت للجهـة الخلفيـة للمـرآة، فتحـت بابهـا ودخلـت، فغافلنـي وهـرب، وأغلـق البـاب مـن الخـارج، ووقـف أمـام المـرآة يقهقـه.

مفر

كان عليـه أن يهـرب، وقـف يفاضـل بـين الطـرق، وجدهـا تقـف في نهايـة كل طريـق، اسـتدار هاربًـا، فاصطـدم بهـا..

عاصفة نارية

تنهـدت بوجهـي؛ هبـت عاصفـة، لفحـت خـدي، فاصطكـت أسـناني، فتصببـت عرقًـا، وتجمـدت عندمـا قبلتهـا.

بعث و إحياء

في الظلمــة، زارتنــي مشــاعرها ترفــرف في ســقف الحجــرة، انتفــض المصبــاح المظلــم، نبــض، أضــاء غــرف قلبــي.

داخل بقعة ضوء

حـين فقـد كل مـا تبقـى لديـه، صعـد عـلى سـور سـطح عـمارة شـاهقة، نظـر إلى السـماء، غمرتـه بقعـة ضـوء سـقطت عليـه مـن القمـر، جرفتـه رغبـة في الصعـود، فـرد ذراعيـه، رفـرف، ظـل يعلـو حتـى وصـل إلى سـطح القمـر، لملـم جناحيـه، ولحظـة الهبـوط، دوى صـوت ارتطـام جسـد بـالأرض.

القطار

هبـط درجـات سـلم محطـة القطـار، وقـف عـلى الرصيـف، نظـر حولـه، لا يوجـد سـواه، جلـس عـلى مقعـد، أحـس بالقلق، أشـعل سـيجارة، اسـتطلع القطـار، انتهـت السـيجارة، رفـع يديـه ليرميهـا بـين القضبـان، لم يجـد القضبـان، ارتجـت الأرض، وصـل قطـار!! وجـد رجـل يضـع يـده عـلى كتفـه وصعـد بـه القطـار، نظـر مـن النافـذة، وجـد شَـخصًا يشـبهه يحمـل حقيبتـه، يلـوح لـه.

انكسار

ذات صباح دققت في المرآة فوجدت شاربي ظهر، قفزت فرحًا، اتصلت بصديقي الوحيد في المدرسة، قبلت أمي وهي نائمة، استيقظ أبي فصفعني وأكمل نومه، في المرآة مازلت أبحث عن شاربي متكئًاعلى عكازي.

عزاء وأنين

جففـت دموعـه، وأنـا أواسـيه فقـال لي : أنـت لاتعـرف إحسـاس أن تفقـد ابنًـا، فبكيـت معـه وقلـت لـه في نفـسي : وأنـت لاتعـرف إحسـاس ألا تنجـب ابنًـا.

على الجانب الآخر

عندما صدمته السيارة، رفعته عدة أمتار لأعلى وفرت هاربة، وحين هبط على الأرض، سقطت الحقيبة التي كانت في يده، فتركها وانتفض، وجرى وراء السيارة بأقصى سرعته.

في آخر الشارع، لحق بالسيارة التي أعاقتها السيارات المتوقفة فى إشارة المرور، صرخ في السائق الذي اغلق زجاج النافذة، وأوصد الأبواب سريعًا، استعان بالمارة لمساعدته، فلم يعره أحد أي اهتمام، استغاث بشرطي المرور وبائع الجرائد والمتسول الذي يعطف عليه فلم يلتفتوا إليه.

وعلى الرصيف المقابل كانت امرأة عجوز تراقبه، فتحت الإشارة، هربت السيارة، وقف غاضبًا متجهمًا مندهشًا، نهر الشرطي وبائع الجرائد والمتسول، نظر إلى المرأة العجوز فوجدها تلوح له، تذكر الحقيبة التي كانت معه فاستدار وعاد جريًا لمكان الحادث، فوجد المارة يحيطون جسدًا مغطى ممددًاعلى الأرض، داخل بقعة من

الدمـاء يرتـدي حـذاءه وسـاعته ودبلتـه، ورأى المـرأة العجـوز عـلى الجانـب الآخـر معهـا حقيبتـه تبتسـم وتفتـح لـه ذراعيهـا.

دميةٌ

عـاد ليـلًا، وضـع المفتـاح في البـاب، أداره ثلاثـة تـكات، دفعـه ودخـل، أغلقـه، وأعـاد التـكات، وشـد المـزلاج، اتجـه إلى غرفـة النـوم، أدار المفتـاح تكتـان، فتـح البـاب بحـرص، دخـل وأغلقـه وأعـاد التـكات وشـد المـزلاج، اتجـه إلى دولاب ملابسـها، أدار المفتـاح تكـة، وهـو ينصـت مندهشًـا!! لا يسـمع لهـا أنـين، فتـح الـدولاب غمرتـه الدهشـة، وجدهـا واقفـة مبتسـمة ليسـت متجهمـة، لاتتـأوه أوتنتحـب، وقـف يبتسـم بسـخرية يتامـل ابتسـامتها البلاسـتيكية التـي تشـبه ابتسـامة دميتهـا المدللـة التـي لا تفارقهـا حتـى في نومهـا وتقـف بجوارهـا داخـل الـدولاب، انفجـر ضاحـكًا، تركتـه يضحـك ثـم اسـتدارت، وهـزت يديهـا المقيدتـين مـن الخلـف، أمسـك الحبـل، وهـو مـا زال يضحـك، حـل العقـد الثلاثـة، وفكـه وعلقـه عـلى بـرواز بـه صـورة زفـاف، اسـتدار اليهـا، وقـف مذهـولا!! وجدهـا تتعطـر، تمشـط شـعرها، تلبـس حليهـا، تتجمـل بمكياجهـا الـذي تجمـد وأصبـح قوالـب طباشـيرية، اقـترب منهـا، جذبهـا مـن يدهـا، لم تقـاوم، لمـس شـعرها، فلـم تنفـر كعادتها،حضنهـا، قبلهـا، لم تـئن، لم يضطـر

لصفعها، لم تبتل الوسادة بدموعها.. ولما ارتوى اتجه إلى الحبل، أخذه وراح يقيدها، فوجدها نائمة، تعاطف، تراجع، ففرد الحبل بينهما ونام، وعندما استغرق في النوم تسللت من الفراش، اتجهت لدميتها، همست في أذنها، حضنتها، قبلتها، وضعتها بجوار الفراش، فتحت أحد الأدراج، أخرجت مقص، أشعلت شمعة حمراء، عادت للفراش، جلست، أمسكت الحبل، وضعته بين فكي المقص، قصته؛ فانفجرت الدماء، شهقت، تمددت، ابتسمت، استيقظ على بكاء دميتها.

الثورة

منـذ كنـت صغـيرًا، وأنـا أكـره كل شيء يـدور، أكـره المروحـة الصـدأة المعلقـة بسـقف الغرفـة التـي أسـكن بهـا مـع أسرتي؛ يزعجنـي صريرهـا الـذي يقشـعر لـه جسـدي، وأراقبهـا ليـلًا وأنـا ممـددًا عـلى ظهـري ملتصقًـا بالحائـط مرتقبًـا سـقوطها.

أكـره قـرص ماكينـة الخياطـة، وصوتـه الـذي يطـن في سـمعي منـذ كنـت جنينًـا في بطـن أمـي.

أكره الأرجوحة التي هشمت رأس أختي الصغيرة.

أكره دراجة صديقي اللدود التي يصدمني بها متعمدًا.

أكـره عجـلات القطـار التـي تزلـزل الأرض فترتجـف جـدران الغرفـة بمـا فيهـا.

وأكـره تنـورة أبي بألوانهـا ورسـوماتها المتداخلـة وهـو يـدور بهـا في الموالـد؛ فتصيبنـي بالـدوار والغثيـان؛ حتـى جـاء اليـوم الـذي سـقط أبي داخلهـا فتوقفـت التنـورة، وصمتـت الطبـول، وتجمـع النـاس، غطـوه بالتنـورة، فتعـالى بـكاء الدفافـين والمـداح والمجـذوب؛ حينهـا توقـف كل شيء يـدور وبـدأت أنـا في الـدوران.

بصمة رومانسية

قـال لهـا بـكل رومانسـية: أعـرف وجهـك تمـام المعرفـة؛ حتـى أني اسـتطيع أن أرسـمه وأنـا مغمـض العينـين، احفـظ ملامحـك، همسـاتك، أنفاسـك، موسـيقى نبضـك، وأحفـظ بصـمات أصابعـك؛ حتـى أني رسـمتهم بالأمـس عـلى إيصـال أمانـة.

ساندوتش

بعد ستة أيام عمل تخللتها عدة اعتداءات عليه من صاحب الورشة، بلغت خمسة عشرة ركلة، وخمسة وعشرين صفعة ولكمة، وخمسين سُبَّة.. أسفرت عن جرح عميق، وخمسة جروح سطحية، وعدة جروح نفسية؛ وقف عاطف الشهير ببلية يتحين لحظة استلام أجر الأسبوع، وبعد عدة مناورات من الطاعة والخنوع والاستعطاف. اقتنص بلية النقود وهو سعيد وعلى وجهه تصميم على فعل شيء لطالما فكر فيه ولم يفعله، لكن هذه المرة أقسم ألا يتراجع، وبسرعة دخل الحمام، غسل شعره، وضع الجل، أمسك فرشاة الشعر، نظر في مرآة السيارة المعلقة على الحائط فانتفض للخلف، صدمه وجه زوج أمه المتجهم، ذو العينين المنتفختين الحمراوين، يصرخ في وجهه، يهدده ويأمره بتسليم أجرة الأسبوع كاملة دون نقصان.

غضب بلية، وظهرت عليه ملامح الرفض والاعتراض ، وضع يده على وجهه يمسح الرذاذ الممزوج بالخمر وبقايا الترمس واللب الذي

تناثر من فم زوج أمه، اتجه للحوض وغسل يده ووجهه والمرآة

فتح كيس أسود معلق على مسمار بالحائط، أخرج ملابس نظيفة لبسها وخرج من الورشة، تنفس عميقًا، لمح بلية الأسمر الذي يعمل بالورشة المقابلة، اتجه نحوه، لكمه وجرى، رأى أحد الصبية المتشردين يسرق كيس النقود من بائعة المناديل العجوز، جرى وراءه، لحقه، أخذ الكيس وأعاده للعجوز، وأكمل الجري. وصل إلى التقاطع، كسر الإشارة، صرخت فرامل، سبه سائق، عبر التقاطع، هدأ سرعته حتى وصل إلى المحطة، دس يده في جيبه، اطمأن على النقود.. التقط أنفاسه. وصلت الترام ذات الطابقين، دفع ثمن التذكرة، صعد للطابق العلوي، واتجه للنافذة الأمامية، وقف يراقب الناس والسيارات والمحلات من أعلى، رأى الخيول تتسابق والترام مار أمام نادي سبورتنج، راقب أشبال نادي الاتحاد تلعب كرة القدم بمحطة الشاطبي، ورأى الطلبة داخل سور الجامعة، والمتظاهرين عند محطة القائد إبراهيم، وصلت الترام محطة الرمل، نزل واتجه مباشرة إلى مطعم ماكدونالدز، دفع الباب ودخل، لسعه تيار الهواء البارد الصادر من أجهزة التكييف القوية، اخترقت عيناه محتويات الساندوتشات المصورة أعلى الكاشير، وقف يسمع أسماء الساندوتشات المتناثرة من أفواه الزبائن، لايعرف أي اسم يتطابق مع أي من الصور المعلقة، أعجبه الساندوتش الذي في البوستر الضخم، وقف ينظر للكاشير وهو ينادي في الميكروفون: واحد تشيز بورجر، اثنين ماك مافن، ثلاثة ميجاماك مع ثلاثة كول سلو.

لاحظه الكاشير، رمقه، ارتبك بلية أخرج النقود سريعًا، ناولها للكاشير وأشار للبوستر الكبير، وقال أريد هذا، ابتسم الكاشير ونادى واحد دبل تشيز برجر، ابتسم بلية وهدأ وبدأ يردد الاسم حتى لا ينساه، دقائق واستلم الساندوتش وخرج، فتح الكيس، استنشق بخاره، ومشى يأكل منه متلذذًا. عاد للمنزل، طرق الباب، فتح زوج أمه بحلق له مزمجرًا قائلًا : أين اليومية؟.. صمت بلية لحظة و تراجع خطوة وأخرج صورة الساندوتش قائلًا: اشتريت هذا وأكلته؛ استشاط زوج أمه وهاج وسحبه للداخل وفتشه، لم يجد النقود فصفعه ولكمه وطرحه أرضًا وسبه وخرج مهددًا أمه التي لم تحاول الدفاع عنه، وتوعد بلية بعد عودته من المقهى الذي يلعب فيه القمار، لم يبك بلية وقام متألمًا، واتجه لأخته الصغيرة المستكينة في أحد الأركان، تحسس شعرها، فتح الكيس، أخرج نصف الساندوتش ووضعه على فمها ابتسمت وراحت تأكله بنهم، ولما انتهت قبلت أخاها ونامت بجواره، تقدمت أمه حضنته وقبلته، وغادرت إلى عملها بالمستشفى، قام بلية، ودخل الحمام، غسل يده ووجهه وشعره، وضع الجل وأمسك الفرشاة، نظر في المرآة لم يجد زوج أمه!

العملاق

تأخرتـم كثـيرًا في إعطـائي مـا أسـتحق مـن مجـد ومهابـة، أطفأتـم النـور الـذي بداخـلي ، حولتـم قلبـي الوديـع إلى وحـش ضـاري، أتظنـون أني لا أراقبكـم؟ أنـا أراقـب الكوكـب كلـه، وأراقـب همسـكم، غمزكـم، قهقهاتكـم، ولطالمـا جرحـت أفخاخكـم كبريـائي وجسـدي، ولـذا سـتدفعون الآن ثمـن أفعالكـم.. انتفـض، بـرزت أنيابـه، اسـتطالت مخالبـه، تضخـم، أطلـق صرخـة أفزعـت الطيـور، صهلـت أحصنـة، نبحـت كلاب، هربـوا كالقطـط والفـئران، راح يطاردهـم، يعضهـم، بركلهـم، يلكمهـم، يبثـق عليهـم، حتـى سـقطوا جميعهـم ضحـكًا، فوقـف يلهـث، وقـد انكمشـت مخالبـه، واختفـت أنيابـه، وبـدأ يتضـاءل.. يتضـاءل حتـى عـاد إلى حقيقته؛ قزمًـا يبـكي للمـرآة.

أنين وحنين

فجعتنـي صرختهـا؛ فاتـكأت سريعًـا عـلى عـكازي، وانزويـت بركـن الغرفـة، سـمعت تـكات المفتـاح، وسـحبة المـزلاج، فتحـت البـاب مندفعـة نحـوي، صفعتنـي، أمسـكت دميتـي، نزعـت ضفائرهـا، مزقـت فسـتانها، خنقـت عصفـوري، وحطمـت قفصـه، مزقـت حقيبتـي وكل مـا بداخلهـا، اسـتلت مقصًـا، بـترت ضفائـري، خطفـت سلسـلة أمـي مـن رقبتـي، شـدت عـكازيَّ منـي فوقعـت عـلى الأرض؛ ومـن لحظتهـا وأنـا أحيـا عـلى الأرض، وأزحـف عـلى الأرض، وآكل عـلى الأرض، وأنـام عـلى الأرض فـوق بقايـا كراسـاتي وكتبـي الممزقـة، أتَوَسـد ضفائـري وأُوَسِّـد دميتـي ضفائرهـا، ويـنـدس بيننـا فـأري الصغـير الـذي أشـاركه بقايـا الخبـز الجـاف الـذي يلقـى لنـا مـن تحـت البـاب، ويشـاركنا الصقيـع والكوابيـس التـي تحـوم حولنـا ليـلًا.

في ركـن الغرفـة ملقـى مقصهـا الـذي بـتر ضفائـري، والحبـل الـذي تقيـدني بـه وأعقـاب السـجائر المطفـأة بجسـدي.

في ركـن آخـر رمـاد صـور أمـي وبقايـا عظـام عصفـوري المتحلـل، وريشــه الملــون، وفرشــاة شــعري، وقطعــة طبشــور.

كل صبـاح أزحـف نحـو البـاب، أنظـر مـن خـلال الثقـب الـذي حفرتـه بأظافـري، أراقبهـا بعدمـا توقـظ ابنتهـا، تمشـط شـعرها، تنسـق ضفائرهـا، تُفطِّرهـا، تلبسـها زي المدرسـة، تأخـذ معهـا زي الباليـه، ومايـوه السـباحة، وآلـة الكـمان، ويخرجـا، حينهـا أتنفـس بعمـق، أتمطـى، أتنهـد، أوقـظ فـاري ودميتـي، أمشـط ضفائرهـا وضفائـري، أزحـف في أرجـاء الغرفـة، أرسـم بالطبشـور عـلى الأرض شـمس وشـجر وورد وأرجوحـة، أقفـز وأجـري أداعـب فراشـة، أسـقي ورود، أرسـم طائـر وأزينـه بريـش عصفـوري المخنـوق فيرفـرف وأرفـرف ونحلـق معًـا.

أرسـم شـاطئ وبحـر وقـارب، أسـبح، أغطس، أصاحـب حوريـة تهديني عقـدًا لؤلؤيًـا عليـه صـورة أمـي وتودعنـي عنـد الشـاطئ فأسـتلقي عـلى ظهـري وأنـام تحـت الشـمس.

أسـتيقظت عـلى قهقهـات ابنتهـا وهـي تشـاهد برامج الأطفـال؛ أزحف نحـو البـاب مـع دميتـي وفـأري ومـن الثقـب أشـاهد كرتـون سـيندريلا، والأمـيرة والأقـزام، والسـاحرة الشريـرة، وتـوم وجـيري، هربت منـي ضحكة، كتمـت أنفـاسي، فزعتنـي صرختهـا، زحفـت سريعًـا واسـتكنت بركـن الغرفـة، تعالـت تـكات المفتـاح، وسـحبة المـزلاج، فتحـت البـاب مندفعـة نحـوي، ركلتنـي، لطمتنـي، مزقـت ملابـسي، عرتنـي، اطفـأت سـيجارتها في

جسـدي، قرصتنـي مـرارًا تاركـةً في جسـمي بقعًـا بلـون قلبهـا وخرجـت؛ بكيـت أنـا ودميتـي وفـأري، وبآخـر قطعـة مـن الطبشـور، رسـمت حضـن أمـي عـلى الأرض، تحسسـته بخـدي، واسـتلقيت بـين جناحيهـا وغفـوت، فجـرا أيقظتنـي دفقـات قلبهـا، ودفء حضنهـا، وأناملهـا تتحسـس وجهـي، قبلتنـي، أوقفتنـي عـلى قدمـي بـدون العكازيـن، أعـادت شـعري كـما كان، غزلـت ضفائـري، عطرتنـي، حضنتنـي، أخذتنـي.

شبح

لا أؤمن بالأشباح ولكنني أوجبرت على الزواج من أحدهم، وأنام في غرفة المعيشة لأنه يسكن غرفة نومي، يختفي نهارًا ويحضر ليلًا، أشعر به قادم من ناحية المصعد، دبيب أقدامه المتثاقلة تهز الجدران، يقشعر جسدي، ينقبض قلبي، أسمع صلصلة المفاتيح ودوي تكات الباب وصريره، يدخل مخمورًا، يترنح برأسه الحليق الملتصق بين منكبيه العريضين، يتجه نحوي مبحلقًا، جفونه السوداء المتورمة، وحمرة عينيه الجاحظتين، تصيبني بالهلع، سال لعابه، برزت أنيابه، استطالت مخالبه، جرني من شعري لغرفة النوم، طرحني أرضًا، وانقض عليَّ، أنفاسه تلوث رائحة الهواء، كتمت أنفاسي بقدر استطاعتي، صفعني، لكمني، فأغمضت عيني، واستحضرت غيبوبتي حتى أفقت على صدي شخيره، وقد انكمشت مخالبه، واختفت أنيابه، لملمت أشلائي وبقايا ملابسي، ودخلت الحمام، وحين بدات أتقيأ أحسست بنزيف وتناثرت الدماء في كل مكان، ورغم الألم الذي اجتاحني وجعلني أتلوى، غمرتني السعادة وأنا أقهقه في سري؛ إنه لم يكن يدري حتى أنه قتل جنينه.

أرق

أرقتـه الوحـدة، ذهـب إلى المستشـفى، وطلـب مـن الأطبـاء نسـخة منـه، أدخلـوه جهـاز الاستنسـاخ، وعندمـا خـرج وجـد الأطبـاء يهنئـون بعضهـم، ووجـد في الجهـاز الـذي بجـواره نسـخة منـه طبـق الأصـل.

ابتسـم.. تهلـل.. شـكر الأطبـاء، ذهـب إلى المستنسـخ، وسـلم عليـه.. قبلـه، وحضنـه.. دعـاه بأخـي التـوأم، أخـذه وعـاد إلى المنـزل، بعـد العشـاء ثمـلا، تشـاركا السـيجار، لعبـا شـطرنج، قتـل الخـاسر الفائـز، وصعـد ونـام بجـوار الزوجـة.. في الصبـاح أرقتـه الوحـدة.

الاتجاه صعودًا

جـاء القطـار بأقـصى سرعتـه ولم يتوقـف، ارتجـت الأرض، وارتجفـت جـدران المحطـة، ثـار الغبـار، أغمـض عينيـه، ترنـح، ألقـى الحقيبـة، تشـبث بأحـد أعمـدة المحطـة، رحـل القطـار، هـدأ الغبـار، فتـح عينيـه، وجـد نفسـه والحقيبـة وحيـدًا داخـل القطـار..

بطل

كلما جمعتني معه مباراة، أخرج مصابًا في قدمي، وأحيانا شج في رأسي أو نزيف بأنفي، أو عدة كدمات متفرقة؛ سواء لعبت ضده أو لعبت معه في نفس الفريق، وهو الوحيد المسموح له باللعب بقدميه ويديه؛ ورغم ذلك لا تطبق عليه قواعد التحكيم، فلا تحتسب ضده أي مخالفة؛ إنه معشوق المتفرجين؛ هو الذي يضع تشكيل الفريقين، وخطة اللعب، وهو الحكم؛ ينذر من يشاء، يطرد من يشاء، يستحوذ على كل الكرات المشتركة، يسدد كل ضربات الجزاء، أو يصدها، وهو الذي يشتري كأس البطولة على نفقته، وهو الذي يفوز به ويتسلمه، فنباركه ونحمله على الأعناق، وفي السهرة يعزمنا على « السندوتشات « والمياه الغازية والسينما، وحين تنقضي السهرة، يرجع كل منا إلى منزله على قدميه، وهو الوحيد الذي يرجع على قدمين وعكازين.

الوديعة

منبـه أبي أقـوي مـن أي منبـه آخـر، بخـة مـاء في وجهـي، أنتفـض مفزوعًـا أو ضاحـكًا أو غاضبًـا، وفي كل الأحـوال يسـقط مقهقهًـا، بالـكاد يلتقـط أنفاسـه، أمسـك منشـفتي وأعلـم أنـه سـيخطفها، فيخطفهـا ،ويشـدني مـن يـدي إلى مكتبـي لأتحـداه في مصارعـة الذراعـين. يهزمنـي منـذ كنـت صغـيرًا، والآن أتركـه يهزمنـي ومعـي عـدة ميداليـات ذهبيـة في رفـع الأثقـال، تتشـابك أيدينـا، أقاومـه ثـوان وأتـرك يـدي تصطـدم بسـطح المكتـب، فيقفـز صارخًـا مصفقًـا لنفسـه، رافعًـا في وجهـي إشـارة النـصر. ثـم يقـف أمامـي يلتقـط سـلفي، فأفاجـأه ببـوز البطـة؛ فينفجـر ضاحـكًا ثـم يهـدأ تدريجيًـا حتـى يتوقـف عـن الضحـك، وقـد حـضرت عـلى وجهـه ملامـح الجديـة والتحـدي والشـموخ، أقـف مشـدودًا مشـدوهًا بـه، يقـترب منـي يتأمـل ملامحـي يحضـن وجهـي بكفيـه، يقبـل جبينـي، فاقبـل يـده، يربـت عـلى كتفـي، ابتسـم وأدخـل الحـمام أخـرج وقـد أعـد الإفطـار، طبـق الأومليـت الـذي يتقنـه، جبنتـي البرميجيانـو، طبـق العسـل والطحينـة الـذي يعشـقه كلانـا، وكـوب اللـبن المخفـوق ببيـض السـمان

وعسل النحل والفانيليا، أجلس بجواره، يمسك برواز به صورة أمي، يقبلها، يناوله لي فأقبلها، نقرأ لها الفاتحة، وندعوا لها، يفوح عطرها، أتذكر ابتسامتها، وحضنها، ولمسة أناملها على شعري ووجهي، ودفء صوتها وهي تحكي لي قصص بينوكيو، وسيندريلا، ومغامرات السندباد، وروبن هود، والشاطر حسن ، وقصص الأنبياء، كم اشتقت إليها، وكم أحببت ملامحها الملائكية التي تزين كل مكان بالبيت، أنهيت الإفطار، ارتديت ملابسي، أخذت مفاتيح سيارتي، وذهبت لاستلام شهادتي الجامعية، أصر على إعطائي السندوتشات التي فشلت مرارًا في إقناعه أنني ما عدت صغيرًا؛ ولا فائدة.

استلمت الشهادة، وعدت إلى البيت، لن أنسى السعادة والبشاشة التي ارتسمت على وجهه، والتنهيدة التي تحررت من أعماق صدره، ضمني وأخذ برواز أمي ودخل غرفته.

في المساء أصر على عدم خروجي للاحتفال مع زملائي وأصدقائي بالتخرج، ورفض مجددًا فكرة سفري، أو إعطائي جواز السفر الذي أخذه منذ حصولي على التأشيرة. تضايقت كثيرًا فتركته ودخلت غرفتي ونمت.

في الصباح : استيقظت على بخة الماء، فقمت متأففًا مستشيطًا، مشوحًا بيدي ودخلت الحمام، خرجت، ارتديت ملابسي، أخذت حقيبة النادي، وتركته يجلس على مائدة الإفطار ورحلت، في الطريق

زرت قبر أمي، قرأت الفاتحة. دعوت لها سقيت الورود التي حول قبرها، ودعتها وذهبت إلى النادي، بعد التمرين قابلت أصدقائي.. . ومساءً عدت إلى البيت، وكعادته نام مبكرًا، فكرت أصالحه، لم أشأ إزعاجه، تناولت العشاء الذي أعده لي قبل نومه، صليت ودعوت له ولأمي، قبلت صورتها وصورته بالبدلة العسكرية ونمت. في الصباح لم يرن منبه أبي واستيقظت وحدي، لم أنهض وادعيت النوم وانتظرته ولكنه لم يحضر، قمت فوجدت على مكتبي ورقة مكتوب فيها « بني أعدك لن أزعجك بعد اليوم «؛ فدخلت غرفته أصالحه، أدركت أنه صادقًا في وعده، ووجدت بجواره جواز سفري وبداخله تذكرة السفر.

أقدام وأقدار

لم يكن طريقي، لكن شيء ما دفعني للمضي فيه ،مليء بالضباب، خال من الناس، أعمدة الإنارة على جانبيه حمراء قاتمة، بعد عدة خطوات سمعت نعيب ونعيق، فاتخذت قرارا بالعودة، حينها سمعت اقدامًا تسير خلفي بنفس إيقاع خطواتي، أبطأت حتى تعبرني الأقدام لاستدير عائدًا، ابطأت الأقدم وظلت تتبعني، صعدت على الرصيف؛ صعدت ورائي، أسرعت؛ أسرعت، قفزت الرصيف؛ قفزت خلفي، توقفت مستديرا أستطلع الأمر؛ أمسكت قبضة رقبتي من الخلف منعتني من الاستدارة، رفعت يدي أزيحها، لم اجد شيئًا ،حاولت الاستدارة ثانية؛ أطبقت القبضة على رقبتي بعنف، حاولت نزعها؛ امسكت فراغًا، أصابني الهلع، جريت بأقصى سرعتي، فانطلقت الأقدام ورائي ومعها أنفاس تلاحقني، تعالى النعيب والنعيق، حاولت الصراخ ضاع صوتي، ولا أحد أستغيث به ولا مهرب، اختفت كل الشوارع الجانبية، وإشارات المرور والبيوت، جانبي الطريق جداران يبرز منهما أنياب ومخالب تقطر دمًا، ورؤوس أفاعي ترعش ألسنتها المشقوقة، أتعثر،

أترنـح، أقـع، أقـف، أكمـل الجـري والأقـدام تطـاردني، يتعـالى عـواء وفحيـح. لمحـت بيتًـا يسـد نهايـة الطريـق، وصلـت إليـه، ركلـت بابـه الصـدأ، ودخلـت مندفعًـا والأقـدام تلاحقنـي، صعـدت سـلالمه الحلزونيـة، الطوابـق بـلا أبـواب، الحوائـط بهـا جماجـم وأذرع تمـد يدهـا تحـاول الإمسـاك بي، في الطابـق الأخـير وجـدت بابًـا تكسـوه خيـوط العنكبـوت، دفعتـه، وجدتنـي عـلى حافـة هاويـة، الأقـدام لحقتنـي، ركلتنـي، هويـت، ولم ارتطـم بالقـاع بعـد.. ..

المصارع

ذات مساء، في إحدى الغرف المتراصة على سطح أحد المنازل القديمة بأحد الأحياء الشعبية، عاد ساكن الغرفة يطرق الباب بعنف، فتحت زوجته، فدخل يعرج، متجهمًا، يتصبب عرقًا، ويحمل أبي جريحا بين يديه، قال لزوجته غاضبًا: لقد هزمه "الطاووس".. وبسرعة وضع أبي على المنضدة، وفتح أحد الأدراج، وأخرج شاشا وقطنا ومحلول التوتيا الزرقاء، وأحضرت زوجته سكينا وبصلة شقتها نصفين، وجلست تراقب زوجها وهو يحاول تضميد جراح أبي التي تنزف ولا فائدة، اختلط الدم بالتوتيا الزرقاء، وملأ تجويف عينه اليمنى التي فُقِأت.. ولم يتوقف النزيف، ولم يستجب أبي لمحاولات الإنقاذ فأغمض عينيه وترنحت رأسه، وبدأ يستسلم لجراحه..

فهَبَّت الزوجة مسرعة، أمسكت رأس أبي وشدت عنقه للخلف وذبحته بالسكين، وبعد عدة رفرفات خفيفة، نزف ما تبقى لديه من دماء، وسكن تمامًا عن الحركة، أمسكته الزوجة من قدميه

ونزعت ريشه، وأخرجت أحشاءه، وغسلته، ووضعته في الماء المغلي مع نصفي البصلة، ساعة وكان في منتصف المائدة، دقائق ولم يبق منه إلا العظام !!

قال الرجل لزوجته : كنت أتمنى أن يفوز في المباراة، ويهزم هذا الديك المغرور الملقب بالطاووس، والفوز بمكافأة تعيننا على إجراء عملية الحمل المجهري وتحقيق حلمنا بالإنجاب، لم ترد الزوجة، ولم تبالي، واتجهت للفراش، وعندما استغرقت في النوم، جلس الرجل يبكي، ثم قام وخلع قدمه اليمنى الصناعية، وأطفأ النور ونام.

كل هذا أمام عيني، وأنا حبيس هذا القفص المعلق بجوار نافذة الغرفة المطلة على باقي غرف السطح، جلست وحيدًا في ظلام الغرفة الذي لم يبدد وحشته إلا ضوء القمر الذي تسلل يؤنس وحدتي، ويبدد خوفي من هذا اليوم الذي سأكون فيه ذبيحا مثل أبي، نظرت إلى السماء، بهرني جمال القمر واكتماله، فلعنت هذا القفص الحديدي الذي يمنعني من التحليق تحت ضوئه الأزرق الفضي، أخرجت رأسي من بين فتحات قضبانه، وصارعت قفله الصدئ ونقرته عدة مرات؛ فلم يتحطم، وفجأة تبدد السكون بلحن كروان عابر ملأ الفضاء، سرعان ما تلاشى، فزادني السكون وحشة، ثم ظهرت البومة التي تحوم يوميًا لتسرق صغار الحمام واليمام والفئران من الأعشاش والأسطح.

مـرَّ أمامـي هـذا الصقـر الصغـير الـذي يطـير متباهيًـا بجناحيـه ويهبـط بثقـة أعـلي قمـة شـبكة المحمـول، تسربـت بعـض القهقهـات والأنفـاس المكتومـة مـع رائحـة الدخـان الأزرق المتصاعـد مـن إحـدى الغـرف.. لمحـت زوجـة صاحـب المنـزل الشـابة تتسـلل مـن غرفـة طالـب الحقـوق القـادم مـن الصعيـد.. تعالـت ابتهـالات النقشـبندي، وتـلاوة عبـد الباسـط، والطبـلاوي مـن غرفـة مـؤذن المسـجد.

ظهـر الطائـر الأبيـض الشـفاف الـذي يهبـط دائمـا عـلى مئذنـة المسـجد، ارتفـع الأذان، وبـدأت خيـوط الفجـر تنسـج ضـوء النهـار.. أتثـاءب.. تتثاقـل رأسي.. أغفـو.. أنتفـض، مفزوعًـا مـن الكوابيـس التـي لا يخلـو منهـا بقـع الـدم الحمـراء، والزرقـاء، وعظـام أبي وقـدم الرجـل الصناعيـة التـي تمـشي وحدهـا وتطـاردني.

وعندمـا أشرقـت الشـمس، أغمضـت عينـي واسـتغرقت في نـوم عميـق، حتـى أيقظنـي الرجـل واضعًـا أمامـي الطعـام، فأكلـت بنهـم حتـى أنهيتـه، ثـم اقـترب منـي قائـلًا : أيهـا الديـك، أعلـم أنـك تعشـق الطـيران، ولا تـكل مـن محاولاتـك الفاشـلة فيـه، وكـم أرهقتنـي في البحـث عنـك فـوق أسـطح البيـوت المجـاورة، ولـذا حبسـتك في هـذا القفـص؛ لأنـك لسـت صقـرًا أو حمامـةً أو حتـى عصفـورًا، أنـت ديـك أيهـا الأحمـق المجنـون؛ ويجـب أن تكـون مصارعًـا مثـل أبيـك الـذي لم يُهـزَم إلا مـن الديـك الطـاووس، وأقسـم لـك إذا هزمتـه لـن أذبحـك ولـن أحبسـك أبـدًا،

ثـم حمـل القفـص وأنـا بداخلـه ونـزل إلى الشـارع، اسـتوقف سـيارة أجـرة، وبعـد عـدة دقائـق، توقـف السـائق أمـام بوابـة يحرسـها العديـد مـن الحـرَّاس الأقويـاء، عبرنـا البوابـة، ودخلنـا مبنـى جمالـوني ضخـم، أصابنـي الذهـول والرهبـة مـن كـم النـاس بالداخـل.. أضـواء، ضوضـاء، دخـان، سُـباب، هتافـات، مراهنـات، نسـاء شـبه عاريـات، حلبـة ومدرجـات، ديـوك تتقاتـل، تنـزف، ريـش متناثـر في كل مـكان، حملنـي الرجـل وذهـب إلى منظـم الحلبـة، الـذي نظـر إليَّ وسـأل عـن اسـمي، فصمـت الرجـل لحظـة وقـال : اسـمه « الطيـار»، سـجل المنظـم اسـمي وعلـق رقـما بإحـدى قدمـي، جلسـت مـع صاحبـي في المدرجـات؛ نشـاهد صراع الديوك حتـى سـمعت صـوت المذيـع الداخـلي ينـادي بالميكروفـون : أيهـا السـادة المبـاراة القادمـة الديـك الطيـار ضـد الديـك الـشرس، حملنـي صاحبـي، وصعـد عـلى الحلبـة وتركنـي ونـزل، وجـدت نفـسي بمواجهـة هـذا الديـك الـشرس الـذي قفـز عـليّ سريعًـا، ونقـرني في وجهـي ورأسي ورقبتـي ثـم ضربنـي بقدميـه وجناحيـه، فجريـت داخـل الحلبـة، وهـو يجـري ورائي وسـط ضحـكات المتفرجـين وقهقهاتهـم التـي اسـتفزتني؛ فقـررت مواجهـة هـذا الـشرس المعتـاد عـلى تلـك المعـارك... فتوقفـت وقفـزت مثلـه، نقـرني فنقرتـه، لكمنـي بجناحيـه فلكمتـه، تراجـع واندفـع نحـوي بقـوة، فـردت جناحـيَّ وطـرت لأعـلى وهبطـت عـلى ظهـره. وأخـذت أنقـره بعنـف وسرعـة.. كـررت فكـرة الطـيران كلـما هاجمنـي، ولم يسـتطع أن يجارينـي فيهـا، حتـى أصابـه الإعيـاء فاستسـلم وانسـحب وفـزت بالمبـاراة، وكان

أسـلوب طـيراني في المصارعـة حديـث الجمهـور، فطبقتـه مـن مبـاراة لأخـرى، وظللـت أفـوز حتـى تأهلـت إلى المبـاراة النهائيـة ضـد الطـاووس في اليـوم التـالي.. أخـذني صاحبـي، وعـاد إلى المنـزل سـعيدًا، ودق بـاب الغرفـة، لم تفتـح زوجتـه ففتـح بمفاتحـه ودخـل وجدهـا لملمـت ملابسـها، وغـادرت الغرفـة وتركـت رسـالة لـه تطلـب منـه الفـراق، هـاج الرجـل ومـزق الخطـاب، وحطـم الأكـواب والأطبـاق، اختـل توازنـه ووقـع عـلى الأرض وأصيـب بجـرح مـن الزجـاج المتناثـر، راح يبـكي وينتحـب، وعندمـا هـدأ نظـر إلي قائـلًا : أتـرى أيهـا الديـك، كلنـا خُلقنـا لنصـارع، ولـكل منـا مخاوفـه وسـجنه، بـل سـجنك أهـون مـن سـجني، فأنـت قـد تخـرج مـن القفـص و تصبـح حـرًا، وتحقـق حلمـك بالطـيران، أمـا أنـا فسـجين عجـزي، وعاهتـي، منـذ بـترت قدمـي في حـادث بعـد زواجـي مبـاشرة، فلـم أعـد قـادرًا عـلى الإنجـاب بصـورة طبيعيـة، ولا أملـك تكاليـف عمليـة الحمـل المجهـري، وزوجتـي تتـوق لطفـل، وأنـا أكـثر منهـا حاجـة إليـه ليعينـني عـلى عجـزي.

ثـم قـام وضمـد جرحـه، ووضـع لي طعامـي، وخلـع قدمـه ونـام، ولم يحبسـني هـذه الليلـة، وفي اليـوم التـالي ذهبنـا إلى الحلبـة التـي امتـلأت عـن آخرهـا، وعندمـا حـان موعـد المبـاراة ودوى صـوت المذيـع: أيهـا السـادة اليـوم المبـاراة الفاصلـة في البطولـة، ولأول مـرة في المبـاراة النهائية، المصـارع الـذي بهرنـا بأسـلوبه الجديـد معنـا اليـوم الديـك الطيـار.

صفـق الجمهـور وصعـد صاحبـي وتركنـي في منتصـف الحلبـة، عـلا صـوت المذيـع مدوّيًـا أمـا الآن مـع البطـل الدائـم الـذي لم يهـزم أبـدًا، الملـك المتـوج صاحـب الأرقـام القياسـية الديـك «الطـاووس» فـدوت القاعـة بالموسـيقى الصاخبـة والتصفيـق الحـار، وتسـلطت بقعـة مـن الضـوء عـلى أحـد أبـواب القاعـة، فدخـل رجـل يلبـس بدلـة ونظـارة سـوداء، واضعًـا سـيجارًا ضخـمًا في فمـه، حولـه مجموعـة مـن الحـراس، يحمـل أحدهـم قفصـا مغطـى بمفـرش مـن الحريـر الأحمـر، صعـد بـه إلى الحلبـة و أزاح المفـرش وفتـح القفـص، فخـرج الطـاووس ينظـر إليَّ متغطرسًـا يختـال داخـل الحلبـة، رافعًـا هامتـه، نافشًـا ريشـه الملـون وعنقـه منتفخًـا، ومنقـاره حـاد مقـوس، وذيلـه يلامـس أرضيـة الحلبـة، رن جـرس بـدء المبـاراة صـاح الحكـم والمتفرجـون، هاجمنـي بشراسـة، وحـاصرني في أحـد أركان الحلبـة وأخـذ ينقـرني، وينـزع ريـش رأسي، ويعضنـي، ويحـاول تمزيـق جلـدي، أظافـره الحـادة ترشـق بصـدري، سـالت دمـائي عـلى أرضيـة الحلبـة، أصبـت بـدوار، ترنحـت، فـدار حـولي متباهيًـا بانهيـاري السريـع، وسـعيدا بصيحـات الجمهـور، نظـرت إلى صاحبـي، وجدتـه يبـكي، تذكـرت قدمـه الصناعيـة، ووعـده لي بالحريـة، ودمـاء أبي وعينـه التـي فقأهـا الطـاووس تملكنـي الغضـب، نظـرت إليـه وجدتـه ينظـر لعينـي يسـتعد للنقـرة القاضيـة.

جمعـت قـوتي، تمالكـت، تأهبـت، أطلـق صيحـة، فأطلقـت مثلهـا، اندفـع نحـوي بـكل قوتـه، فـردت جناحـيَّ وطـرت عاليًـا، وهبطـت عـلى

ظهره العالي، أدار رأسه إليّ فنقرته في إحدى عينيه فصرخ بقوة، دفعني وكرر الهجوم وبدوري كررت طيراني، وفقأت عينه الأخرى، أخذ يصرخ ويدور ويقفز داخل الحلبة على غير هدى، باحثا عني، هاجم قدميّ الحكم، تعثر، وترنح، ثم سقط أرضا، فعم صمت رهيب. وقفت ألهث في أحد أركان الحلبة وسط ذهول الجميع، هب الرجل ذو النظارة السوداء، ألقي السيجار والنظارة، سحب مسدسًا من أحد حراسه، صعد على الحلبة، صوبه نحوي، ونظر لعينيَّ، ووضع إصبعه على الزناد، تعالت حشرجة الطاووس، فالتفت إليه الرجل، صوب المسدس نحوه وأطلق رصاصة، فصمت الطاووس للأبد، وضع المسدس في جنبه، ونظر إليَّ وابتسم، وصفق لي فدوت القاعة بالتصفيق، تعالت أصوات الموسيقى وغمرتني بقعة الضوء، وحاصرتني أضواء الكاميرات. جرى صاحبي عليَّ وحملني وقبلني. أعلن المذيع تتويجي باللقب، ونزل صاحبي إلى منظم الحلبة، استلم عدة آلاف من الجنيهات، والعملات الأخرى، وقع عقد بيعي، ولم يلتفت لي، واختفى عندما أدخلني الحارس القفص ذا المفرش الأحمر.

المحتوى

مفـــتتح	٧
القلب الأبيض الشفاف	٩
أحلام مهـرج	١١
شهيق وزفير	١٣
الصعود لأسفل	١٥
ساحرة من نار	١٧
القلادة	١٩
أنا وعقله وهو	٢١
نبض ماكينة	٢٣
الضـربة القاضـية	٢٥
آخر أيام الطفولة	٢٧
الخلاص	٢٩
علقم	٣١
ثقب	٣٣
براءة	٣٥
صقيع	٣٧
المجذوب	٣٩
إبحار	٤١
هجرة قلب متمرد	٤٣
شتات	٤٥

معادلة صعبة	٤٧
مصيدة	٤٩
يتيم	٥١
وعود وقيود	٥٣
حواديت	٥٥
مسيرة	٥٧
فاتورة	٥٩
لص	٦١
عصير فرش	٦٣
إنقاذ سريع	٦٥
زيـــارة	٦٧
باقة ورد	٦٩
طاحونة	٧١
اهتمال	٧٥
من أين لك هذا ؟	٧٧
سباق	٧٩
العودة	٨١
مزلقان	٨٣
أصابع	٨٥
ازدحام	٨٧
وعد	٨٩
بين فكي القضبان	٩١
تقوقع	٩٣
محاكمة علنية	٩٥

خدعة ٩٧
مفر ٩٩
عاصفة نارية ١٠١
بعث و إحياء ١٠٣
داخل بقعة ضوء ١٠٥
القطار ١٠٧
انكسار ١٠٩
عزاء وأنين ١١١
على الجانب الآخر ١١٣
دمية ١١٥
التنورة ١١٧
بصمة رومانسية ١١٩
ساندوتش ١٢١
العملاق ١٢٥
أنين وحنين ١٢٧
شبح ١٣١
أرق ١٣٣
الاتجاه صعودًا ١٣٥
بطل ١٣٧
الوديعة ١٣٩
أقدام وأقدار ١٤٣
المصارع ١٤٥

التعريف بالكاتب:

طارق جابر محمد أحمد

أستاذ بمعهد موسيقى الإسكندرية (Conservatoire)

حاصل على شهادة Royal Academy of Music

عضو رابطة الأدباء العرب

تم تكريمه بمؤتمر الإسكندرية الدولي الأول للسرديات للقصة القصيرة بمكتبة الإسكندرية ٢٠١٣

مؤلفات للكاتب تحت الطبع:

•متوالية التمزق (مجموعة قصصية)

•احتمال (ديوان شعر)

ت: ٠١٢٢٣٣٢٥١٠٢

بريد الكتروني: gmail.com@gtarek٤٥

فيسبوك: Tarek Gaber Mohamed